فجوات الماضي أبواب للأمل: قراءة في ومضة قرار لأسماء عطة

هيفاء حماد، سوريا

النص: قرار

أرهقها النّبش بماضيها، فغلّقت كل الفتحات بجدار ذكرياتها وشرّعت أبوابها للأمل.

الماضي. الحاضر. المستقبل... ثلاثة أزمنة وحدها القادرة على رسم حياتنا وتفاصيلها ومفرداتها. الماضي وأياً كان هو مفتاح للحياة وقبل أن يكون ماضياً كان حاضراً حي... الحاضر هو السلام على الأحداث يداً بيد و معانقتها ومعايشتها بشكل آني ومباشر بعدما كانت مستقبلاً. المستقبل لعله الامتداد لتلك الأحداث. لكن نهايته في الأفق البعيد ولربما بدايته تصبح حاضراً لحظة بلحظة.

أن نفتح باب الماضي ونبدأ بالنبش. هذا يعني الكثير الكثير. فإن كنا نحن من ننبش فيه. فهذا دليل الوحدة التي نعيشها والفراغ المميت الذي يحاصرنا. وإلا لما كان لدينا الوقت للرجوع إليه والنبش فيه. ولكنّا اكتفينا بالتذكر واسترجاع بعض الأحداث منه. سواء كانت حزينة أو سعيدة. أما أن يكون أحد آخر من يقوم بالنبش فهذا أيضاً له دلالات كثيرة.

الراوية هنا ترصد الحدث من منظور خارجي. (أرهقها النبش بماضيها). فمن هي تلك التي أرهقها النبش بماضيها؟ وما دورها في الحياة؟ أهي شابة في العشرينات الأخيرة من عمرها. شابة في الثلاثينيات. امرأة. عازبة. متزوجة. مطلقة. أَم وأَم وأَم....؟ احتمالات كثيرة تحوم حول تلك المُرهقة من الماضي؟ فبالتأكيد هي ليست أصغر من ذلك لأنه لا ماضي لطفلة صغيرة. ولا لفتاة في مرحلة المراهقة. وإنما يبدأ الماضي بالتشكل من هذه المرحلة (مرحلة المراهقة)

وهذا لا يعني النكران لمرحلة الطفولة. وإنما في مرحلة الطفولة يكون الماضي فيها للكبار والأطفال هم دمى وأدوات في يد الكبار. ومهما اعتراها من شقاء وشقاوة أو فرح و غير ذلك فإن استعادتها لن ترهق صاحبتها. فهي بكل ما فيها المرحلة الأكثر براءة في الحياة. إذاً من الممكن أن تكون في العشرينات. وكان لها مراهقة مُرة وهي من تنبش بماضيها. وتضع يدها على مرحلة كانت تحتاج منها لوعي يقيها شر هذا النبش. فكلمة النبش هنا تدل على ماض يعتريه شيء ما. حزن. ضعف. خطأ ما ارتُكب. يأس. فشل. أيضاً احتمالات عديدة. وربما أنها تلك الثلاثينية وقد مرت بتجارب كثيرة ولابد من ذلك. وبالتأكيد هي غير راضية عن أغلبها. فلذلك تقوم بالنبش. ولعلها تلك المرأة التي تحاصرها الذكريات لأسباب أيضاً نجهلها. إذا الراوية تركت الاحتمالات مفتوحة أمام القارئ ليستشف هو بنفسه من تكون تلك المُرهقة. فمن هم الذين يقومون

بالنبش؟ هل هم الأصدقاء والذين غالباً ما يعرفون كل الأسرار؟ أم هم أقرب الناس إليها وهم أهلها؟ أم هم عامة الناس وهنا تكمن المصيبة؟ أهي ذاتها من تقوم بالنبش؟ هنا الفاعل غير محدد. لذلك الاحتمالات جميعها واردة ومحتملة. بالانتقال إلى الجزء الثاني من الومضة وهو يتكون من جملتين متتاليتين (فغلّقت كل الفتحات في جدار ذكرياتها وشرعت أبوابها للأمل) هنا لو قدرنا موقفها جيداً لرأينا أن الشخصية قوية الإرادة. قادرة على التحدي. تحدي الذات. تحدي الناس. الأهل. الأصدقاء. تحدي كل من حاول النبش بماضيها. فبقوة إرادتها استطاعت إغلاق كل الفتحات أو الفجوات التي في ذاكرتها وأن تبتسم للحياة وتشرع أبوابها للأمل. للقادمات من الأيام. ولكن هنا وبما أن الراوي غير مشارك بالحدث فليس من حقه رصد المشاعر الداخلية للشخصية. كما أن كلمة(الفتحات) التي جاءت معرفة بالألف واللام دليل أنها أغلقت فقط الفتحات التي

تعرفها أو تشعر بها وهذا سيجعلها عرضة للنبش مرة أخرى وفي أي لحظة. لذلك كنت أفضل أن تأتي الكلمة نكرة(فتحات جدار) لأثبتت قوة الإرادة أكثر. وبذلك لو جاءت الومضة بضمير المتكلم لكانت أقوى منها بضمير الغائب.

بالنسبة للمدى الزمني للومضة فهي تركز على لحظة زمنية واحدة هي إغلاق الفتحات في جدار الذاكرة وما تقوم به الشخصية من ردة فعل جراء فعل النبش الذي وقع عليها.

أما بالنسبة لشخصيات الومضة فهي مروية بضمير الغائب من بداية الومضة حتى نهايتها مع تسلط للراوي في رصد الحدثين الأخيرين.

obeikandl.com